حسن البنا

تحت المجهر

دراسة نقدية لأطروحة حسن البنا الفكرية وتنظيم جماعة الإخوان المسلمين

مستلة من موسوعة (جمهرة أعلام الأزهر الشريف) .



بقلم الدكتور

أسامة الأزهري

قال فرج سليمان فؤاد في ترجمة العلامة الشيخ يوسف الدجوي: (الكنز الثمين): (وإن الشيخ رجل من كبار رجال الدين، وأقطاب التقى، طويل الفكر، ممض الأسى لما أصاب الدين الإسلامي من التأخر الذي جره إليه عقوق أبنائه، كثير العمل لما يعود عليه بالنهوض والرفعة، ولو أن في الأمة نفرا قليلا من أمثال الشيخ الدجوي لأرجعوا للإسلام كثيرا من مجده القديم، ولأثروا في الأمة الإسلامية تأثيرًا حسنًا).

إلى أن يقول: (أما مآثره وأعماله فهي تلك المآثر الغر التي تبقى على الدهر، وتتناقلها الأجيال آخر الأيام، والتي بعثت في الإسلام روحًا حية عرفها القاصي والداني، من ذلك تأسيسه لـ"جمعية النهضة الدينية"، تلك الجمعية التي انضوى تحت لوائها علية القطر المصري، من العلماء والأعيان ورجال الحكومة، والتي لو من الله في بقائها قليلا لأتت على بنيان أعداء الإسلام من القواعد، وقوضت جميع آمالهم التي تعبوا في تشييدها قرونا عدة)، بل قال وهو أعجب: (ومن ذلك تآليفه التي تخضع لها الهام، وتخشع لها الأعلام، والتي كشفت النقاب عن محاسن الدين الإسلامي وأظهرته لأعدائه في ثوبه القشيب، من ذلك: الجواب المنيف في الرد على من طعن على القرآن الكريم بالتحريف.

وسبيل السعادة في الأخلاق وهو كتاب جمع بين الحقائق الفلسفية والرقة الكلامية فكأنه الشراك لا يلقي فيه الإنسان نظره فيمكن أن يزايله حتى يفرغ منه.

ورسالة في تفسير قوله تعالى: "لا يسأل عما يفعل"[(١)]، وأخرى في الوضع،

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٣.

ومحاضرة ألقاها يوم أن زار حضرة صاحب العظمة سلطان مصر الأزهر الشريف في المقارنة بين الشريعة والقوانين الوضعية، وكل هذه الكتب مطبوعة متداولة.

وله جملة رسائل عهد إليه بتأليفها ساكن الجنان شيخ الإسلام السابق، عندما طلب منه سكان أمريكا كتابًا لشرح حقيقة الإسلام، وهي لم تطبع بعد، هذا والشيخ محبوب من جميع الأزهريين، موثوق به بين الكبير والصغير، مدعو لكل جلي، مقدم في كل معترك، يدرس العلوم العالية بالأزهر الشريف، ويتلقاها عنه كبار الطلبة.

وقد عهد إليه أخيرًا بتأليف لجنة الخطب العصرية، وهي الآن تشتغل في عملها، قواه الله ونفع به الإسلام والمسلمين آمين)، وفرج سليمان يقول هذا الكلام في كتابه (الكنز الثمين، لعظماء المصريين)/ص٢٧١ و٢٧٢/، المطبوع بمطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر بمصر سنة ١٩١٧م.

وقد كان عمر حسن البنا عند نشر هذا الكلام إحدى عشرة سنة، ثم بعد عشر سنوات أخرى، وفي سنة ١٩٢٧م يشتبك حسن البنا – وهو في الحادية والعشرين من عمره – مع العلامة الشيخ الدجوي في نقاش، فيختمه حسن البنا بقوله: (إنني أخالفك يا سيدي كل المخالفة في هذا الذي تقول، وأعتقد أن الأمر لا يعدو أن يكون ضعفًا فقط، وقعودًا عن العمل، وهروبًا من التبعات.

من أي شيء تخافون؟ من الحكومة أو الأزهر؟ يكفيكم معاشكم واقعدوا في بيوتكم واعملوا للإسلام، فالشعب معكم في الحقيقة لو واجهتموه، لأنه شعب مسلم، وقد عرفته في القهاوي، وفي المساجد، وفي الشوارع، فرأيته يفيض إيمانًا.

ولكنه قوة مهملة من هؤلاء الملحدين والإباحيين، وجرائدهم ومجلاتهم لا قيام لها إلا في غفلتكم، ولو تنبهتم لدخلوا جحورهم.

يا أستاذ! إن لم تريدوا أن تعملوا لله فاعملوا للدنيا وللرغيف الذي تأكلون، فإنه إذا ضاع الإسلام في هذه الأمة ضاع الأزهر، وضاع العلماء، فلا تجدون ما تأكلون، ولا ما تنفقون، فدافعوا عن كيانكم إن لم تدافعوا عن كيان الإسلام، واعملوا للدنيا إن لم تريدوا أن تعملوا للآخرة، وإلا فقد ضاعت دنياكم وآخرتكم على السواء!)[١].

وأنت ترى من هذه العبارات ما تموج به من حماس جارف، يحترق به صاحبه، ويضيق معه صدره عن أي عمل طويل الأمد، ويظل ليل نهار يصطلي بنيران هذا الحماس المؤلم، حتى تولدت من لدن حسن البنا فما بعده طريقة لخدمة الدين ما كانت مألوفة من قبل قط، لها عدد من السمات، أوجزها فيما يلي:

* السمة الأولى: الحماس الأهوج:

بيان ذلك أن حسن البنا ولد سنة ١٩٠٦م، وأشهر جمعية الإخوان سنة ١٩٢٨م، فكان عمره يوم إشهارها اثنتين وعشرين سنة، فتكون الفكرة ولدت في ذهنه قبل ذلك بسنين، أقلها ثلاث سنوات، فتكون الفكرة استهلت عنده وعمره نحو تسع عشرة سنة، وليس له في هذا السن من العلم ولا الخبرة ولا الحنكة ما يؤهله لصناعة رؤية جديدة يطالب علماء الأزهر من أمثال الدجوي وغيره بالانسياق لها.

فليس له حينئذ من زاد يتكر به سوى الحماس الأهوج الذي يغلي في عروقه، ويدفعه لاقتراح إجراءات عاجلة لخدمة الإسلام، يتكشف الزمن بعد مرور سنوات عن أنها كانت غير مدروسة ولا متقنة، ولا جارية على سنن الشرع ومسالكه ومقاصده، والشرع قد عودنا أن العلم قبل القول والعمل، وأن الوعي قبل السعي، وقال العلماء إن

(١) مذكرات الدعوة والداعية/ص٥٢/، ط٣: المكتب الإسلامي، بيروت، سنة ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

من سمات التدهور في أي أمة أن تكون الحركة والنشاط سابقة على الفكر.

ومما يشهد لذلك أن حسن البنا خرج مدفوعًا بهذا الحماس الجارف والمشاعر المشتعلة، فبدأ عمله سنة ١٩٢٨م، ثم خاض في هذا الميدان على مدى عشرين سنة، ليدرك بعد زمن طويل أنه سلك طريقًا خاطئًا، وأن الدجوي رحمه الله كان أشدَّ سكينة، وأبعد نظرًا.

بيان ذلك قول الشيخ محمد الغزالي: (القدر جعلني ألقى البنا قبل أن يقتل بيومين، وكنت أسكن في درب سعادة، ومشيت إلى ناحية الاتجاه القبلي، فإذا الأستاذ البنا من درب الجماميز ذاهب إلى دار الشبان المسلمين، فقابلته واحتضنته، وكأنني احتضنت شماعة ملابس فأصبح نحيفا جدا، فأين الجسم؟ فأحس فزعي، فقال لي: كيف حال إخوانك، وقال لي أسماء المعتقلين اسمًا اسمًا، ثم قال لي الكلمة التي ذكرتها في بعض كتبي: "ليس لنا في السياسة حظ، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لعدت بالإخوان إلى أيام المأثورات"، وهذه تعطي فكرة إلى التيارات التي فرضت على الجماعة للاشتغال بالسياسة فكانت تيارات عاصفة)[١].

فها هو حسن البنا بعد مرور عشرين سنة من الخوض فيما ارتآه واختاره يرجع إلى ما نصحه به الشيخ يوسف الدجوي من أول الأمر، مما يدل على أنه خاض في الأمر دون رؤية، بل لا زاد له إلا الحماس الأهوج، ولما مرت السنوات تبين له أن عواقب الأمر وخيمة، فإذا به يرجع بعد ضياع العمر.

---

(١) حوارات الشيخ محمد الغزالي: السيرة والمسيرة/ص١٦٨/، ط: المعهد العالي للفكر الإسلامي، دار السلام، القاهرة، سنة ٢٠١٢م.

ولقد كان منهج الأزهر على الضد من ذلك تماما؛ إذ يهذب طالب العلم، ويقدم له قبل الشروع في العلم آدابًا تصونه وتحميه من العجلة والطيش، وتعلمه كيف يصبر على طلب العلم سنوات، يترقى فيها من مستوى المبتدئ إلى مستوى المتوسط إلى مستوى المنتهي، فيستغرق في ذلك مدة تتراوح من عشر سنوات إلى خمس عشرة سنة، لا يشوش خاطره ولا يشغل باله شيء، بل ينصرف من الدنيا كلها إلى العلم، صبورًا عليه، مقبلًا على فهم مسائله، وارتشاف مناهجه من خلال مسائله، ليترقى عقله من المسائل والجزئيات إلى المناهج والكليات، مجتهدًا في الإلمام بدوائر علوم الأزهر، من دائرة الفهم والإفهام بعلومها، ودائرة التثبت والتوثيق بعلومها، ودائرة الحجية والتحليل بعلومها، ودائرة بناء الإنسان بعلومها.

وهو في كل ذلك مخالطٌ لأساتذته، مستمعٌ لمداركهم القوية، منتفعٌ بتحريراتهم وبحوثهم، وأنوارُ العلم ترتسم وتلوح في عقله بالتدريج، شيئًا فشيئًا، وكلما سطع نور العلم في عقله خجل مما كان عليه في أول أمره من السذاجة والتهجم والانجراف، والحلول والمقترحات التي كان يبديها، وكلها انجراف واقتحام دون معرفة ولا فهم ولا بصيرة.

فإذا بكل ذلك قد وَلَّدَ عند طالب العلم في الأزهر سمة أولى ألا وهي السكينة، تعصمه من سمة الانحراف الأولى، ألا وهي الحماس الأهوج.

* السمة الثانية: الاندفاع الطائش:

فإذا اشتعل الإنسان بالحماس المتأجج الذي يغلي في عروقه، فإن منافذ الفكر تضيق في وجهه، ولا يبقى له صبر على تأمل مآلات الأمور وعواقبها، ويعتريه الهم المُقْعِد المُقِيم، فتجد له هرولة إلى إجراءات وحلول واقتراحات وبرامج عمل متعجلة،

وغير مدروسة، لكنَّ تَأَجُّجَ الصدر بذلك الغليان يُعْجِلُه ويحمله على الاقتحام فيها، ثم إذا به يفاجأ بعد مرور سنوات أن أكثر تلك الإجراءات كانت غير سديدة، وأنها أفضت به إلى طريق مسدود، مما لو تبصر بعواقبه من أول الأمر لما خاض فيه، لكنها نتيجة ذلك الحماس الأهوج، أن تولد اندفاعًا طائشًا في عشرات التصرفات، التي يثبت الزمن أنها كانت متعجلة.

أما أهل العلم وعلماء الأزهر عبر تاريخهم، وكما تراهم فيما سبق من هذه الجمهرة، فقد كان صفاء بصائرهم يحملهم على الأناة والحلم، وكان العلم يفتح لهم أفق تفقد عواقب كل أمر يقدمون عليه، فلا يتحركون فيه خفافا تتقاذفهم الأمواج، بل لا يدخلون في الأمر إلا إذا قلبوا النظر فيه من سائر وجوهه، ولاحت لهم سلامة مخارجه قبل التقحم في مداخله، فإذا بالسمة الأولى والتي هي السكينة، قد ولدت عندهم السمة الثانية والتي هي الحكمة.

فكانوا يمتلئون بالسكينة والصبر على المعرفة، فيعصمهم ذلك من الحماس الأهوج، وكانت السكينة تفضي بهم إلى الحكمة فيما يأتون وما يتركون، فيعصمهم ذلك من الاندفاع الطائش.

* السمة الثالثة: افتقاد أدوات فهم الشريعة:

فإن حسن البنا ليس له جلوس وصبر على اكتساب أدوات فهم الوحي، وليس عنده علم بأصول الفقه، ولا علوم البلاغة، ولا المنطق وعلم الكلام، ولا هو ذو باع في النحو والصرف، ولم يتدرج في كتب العلم من صغارها إلى كبارها، ولم يتقن دوائر العلوم، ولم يَعْبُرْ على امتحان العالمية، فليس هو بالعالم المجتهد المستنبط، حتى تورط بسبب ذلك فخلط بين الأصول والفروع، وخلط بين القطعي والظني، وخلط بين المحكم والمتشابه،

وأنت ترى ذلك في قوله: (والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول، لا من الفقهيات والفروع)[١].

فتورط هنا في أمر فادح جلل، وهو الزيادة في أصول الإيمان، مما يفضي بأتباعه إلى التكفير بما ليس بمكفر، كما سيتداعى ويتفاقم ويظهر عند أتباعه كما سيأتي الإشارة إليه.

ويترتب على ذلك اعتبار مسائل الحكم عقيدة، واعتبار تدابير السياسة وإجراءات الوصول للحكم عقيدة، فتكتسب قوة العقيدة، مما يتولد عنه الاستماتة في الوصول للحكم، لأن الذي غُرس في العقل أنها اعتقاد، كما أنه ينشأ عن ذلك سهولة تكفير المخالف سياسيا، لأنه في نظرهم نازعهم في أمر اعتقادي.

واستمع في مقابل هذا التخبط إلى كلام أئمة أهل السنة والجماعة، حيث يقول الإمام المحقق السيد الشريف الجرجاني والإمام المتبحر عضد الدين الإيجي في: (شرح المواقف): (الإمامة ليست من أصول الديانات والعقائد خلافا للشيعة، بل هي عندنا من الفروع)[٢]، إلى أن يقول: (والإمامة رياسة عامة في أمور الدين والدنيا)

فإذا بحسن البنا قد أقحم مسألة الحكم في العقائد، ثم انسحب هذا المعنى الضخم من مسألة الحكم في ذاتها إلى إجراءاتها، وآلياتها، وانتخاباتها، فسهل على الناس من بعد ذلك أن ينظروا إلى المنافس لهم في السياسة على أنه كافر، والسبب هو هذا الخطأ

---

(١) مجموعة الرسائل للإمام حسن البنا: رسائل المؤتمر الخامس/صفحة ٢٩٧/، ط: دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة سنة ٢٠١٢م.

(٢) شرح المواقف/٤/٣٤٤/، ط: دار البصائر، القاهرة، سنة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

الفادح، في إدخال أمور في باب الاعتقاد، وهي ليست منه.

ولذلك ينتهي الأمر بحسن البنا أن يقول: (فإن قعود المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف)(١).

فتحول مقصد الدين في نظره إلى النهوض للمطالبة بالحكم، حتى صار القعود عن ذلك جريمة لا تغتفر، ولا يكفرها إلا النهوض للمطالبة بالحكم، بل استخلاصه.

وقد ظهر هذا الأثر -الذي هو انتهاء هذا النمط المغلوط من الفكر إلى التكفير- عند محمود الصباغ عضو التنظيم الخاص، حيث اعتبر قرار النقراشي باشا بحل جماعة الإخوان كفرا !

فقال وهو يتحدث عن قتل الإخوان للنقراشي باشا: (وهل يمكن أن يلوم أحد شبابًا مسلمًا أو عدة شباب مسلمين إذا ما اتحدت إرادتهم على قتل صاحب القرار، هذا القرار الداعي إلى الكفر بالله ! وهو يدعي أنه مسلم، إن اللوم كل اللوم يقع على صاحب القرار نفسه، وقد حفر قبره بيده، وهو يعلم ذلك يقينا قبل أن يوقع القرار، فقتله الشاب المسلم عبد المجيد أحمد حسن عضو النظام الخاص لجماعة الإخوان المسلمين)(٢).

ولم يزل هذا الغليان يتصاعد حتى أفضى إلى الاندفاع إلى التكفير، والقول بتوقف

---

(١) مجموعة الرسائل للإمام حسن البنا: رسائل المؤتمر الخامس/صفحة ٢٩٧/.

(٢) حقيقة النظام الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين/ص٤٤/، تقديم المرشد العام للإخوان مصطفى مشهور، ط: دار الاعتصام، القاهرة، سنة ١٩٨٨م.

الدين عن الوجود وانقطاعه قبل زمن طويل، وأنه لم يعد له وجود في الأرض: وقد غرق سيد قطب في هذا التصور المظلم، الغارق في العقد النفسية، والذي وصل إلى تصور كئيب بأن الأرض كلها على الشرك، وأن الأمة المسلمة نقضت الإسلام، وأن الكون غارق في الجاهلية والكفر.

ولم يزل به هذا التصور الظلماني المغرق في الكآبة حتى صرح ذلك التصريح الغريب المذهل بأن هذا الدين قد انقطع وجوده قبل زمن.

فقال في كتاب: (العدالة الاجتماعية في الإسلام): (وحين نستعرض وجه الأرض كله اليوم –على ضوء هذا التقرير الإلهي لمفهوم الدين والإسلام– لا نرى لهذا الدين "وجودا"، إن هذا الوجود قد توقف منذ أن تخلت آخر مجموعة من المسلمين عن إفراد الله سبحانه بالحاكمية في حياة البشر)[١]، وقال أيضا في كتاب: (معالم في الطريق): (إن وجود الأمة المسلمة يعتبر قد انقطع منذ قرون كثيرة)[٢].

فافتقاد أدوات فهم الشريعة، ودوائر العلوم التي تمكن صاحبها من الاستنباط، تجعل الشخص ينجرف إلى تحكيم هواه في فهم الوحي واستدعاء آياته وتنزيلها على الوقائع، واسمع قول القرضاوي: (الإخوان المسلمون عندهم ضعف في الجانب الثقافي والعلمي، كانوا يدربوننا على السمع والطاعة، مثل قول إسماعيل لأبيه: "يا أبت افعل ما تؤمر"[٣].

---

(١) العدالة الاجتماعية في الإسلام/ص١٨٣/ ط: دار الشروق، القاهرة، سنة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٢) معالم في الطريق/ص٨/.

(٣) سورة الصافات، الآية ١٠٢.

فهم يريدون جنودًا مطيعين لا دعاة مثقفين، كأنما كان هناك خوف عند الإخوان من القراءة والثقافة أن تنشئ العقلية المتمردة، تلك القراءة التي تقول: فيم ؟ ولماذا؟ وكيف؟ ولا تقول سمعنا وأطعنا.

كان ذلك الهاجس هو السبب في وهن الجانب الفكري عند الإخوان، وكان مصدر ثقافتهم مقالات ودروس البنا فقط، فإذا شغلت الإمام البنا الشواغل الكثيرة — الوطنية والإسلامية خوى وفاضهم، ونفدت بضاعتهم، وقل المعروض في سوقهم، وقد عمل البنا جاهدًا على معالجة ذلك بلجنة الشباب المسلم، ومؤلفات أبي الأعلى المودودي، فكان ينبغي عليهم أن يهتموا بالجانب الثقافي الديني، لكن للأسف لم يفعلوا، بل لم يفكروا مجرد تفكير في ذلك)(١).

أما أهل العلم في الأزهر كما تراه من هذه الجمهرة فقد كانوا أهل تبحر وإلمام بأدوات فهم الوحي، وخصوصًا العلوم الاثني عشر، مما يجعل أدوات علم أصول الفقه، وعلم الكلام، وعلوم البلاغة والعربية حاضرة في أذهانهم، فتعصم عقولهم من التورط في هذا الخلط العاصف، الذي ينشب في العقول نتيجة الحماس الأهوج، والاندفاع الطائش، فإذا صادف ذلك عقلًا خاويًا من قواعد العلوم فإنه يغرق في الوهم، ويفهم نصوص الشرع كما تتراءى له؛ إذ لا يصبر عنده على المراجعة والتدقيق والتأمل.

* السمة الرابعة: عدم وضوح مقاصد الشريعة:

فالشريعة لها مقاصد عامة، ومقاصد خاصة، ومقاصد جزئية، وإذا أحكم طالب

---

(١) ابن القرية والكتاب: ملامح سيرة ومسيرة/٣١٧/١، ط٢: دار الشروق، القاهرة، سنة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

العلم ذلك سطعت مقاصد الشريعة أمام عينيه، وصارت هي البوصلة التي يهتدي بها عند اشتباه الأمور، قال الحافظ السيوطي في: (التحدث بنعمة الله): (وأحسنُ عبارةٍ رأيتُها في هذا المعنى قولُ حجةِ الإسلام الغزالي: "مقاصدُ الشرع قبلةُ المجتهدين، من توجَّه إلى جهةٍ منها أصاب")[(١)].

وأبواب المصالح والمفاسد لا يصلح للاجتهاد فيها إلا من أحاط بمقاصد الشرع جملة وتفصيلا، قال الشاطبي رحمه الله في: (الموافقات): (الاجتهاد -إن تعلق بالاستنباط من النصوص- فلا بد من اشتراط العلم بالعربية، وإن تعلق بالمعاني، من المصالح والمفاسد، مجردة عن اقتضاء النصوص لها، أو مسلمة من صاحب الاجتهاد في النصوص، فلا يلزم في ذلك العلم بالعربية، وإنما يلزم العلم بمقاصد الشرع من الشريعة جملة وتفصيلا)[(٢)].

فهذا الباب بحر متلاطم، يحتاج إلى علم وحكمة وصبر، ويحتاج إلى صنعة اجتهاد، وأدوات المجتهد، وإذا اختل ذلك التبست مقاصد الشريعة بالأهواء، وينحرف الطريق بالإنسان وهو لا يدري، فإذا صاحب ذلك اشتعال الحماس الجارف، والاندفاع الطائش، وانعدام أدوات فهم الشريعة، فإن الانحراف والضلال من الإنسان على مرمى حجر.

فأين حسن البنا من هذه المسالك الدقيقة، وقد شهد هو بنفسه بعد زمن أنه دخل فيما لم يكن يقصده، وأنه يتمنى الرجوع إلى ما كان عليه قبل سنين.

---

(١) التحدث بنعمة الله/ص٢٣٤/، ط: الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، سنة ٢٠٠٣م.

(٢) الموافقات/٤/١٦٢/، ط: دار المعرفة، بيروت، تحقيق: العلامة عبد الله دراز.

* السمة الخامسة: شدة التباس الواقع:

إذ تتشابك أموره حتى تغدو طلاسم محيرة، لا يقتدر هذا العقل المنجرف بالحماس الطائش والاندفاع الأهوج، وافتقاد أدوات العلم، واختلاط مقاصد الشريعة على أن يفك مغاليقه، ولا يقتدر على الخوض فيه عن بصيرة.

والذي يدل على ذلك هذا الحوار العجيب الذي قصه ونقله رفيق حسن البنا وصديقه الأستاذ محب الدين الخطيب، إذ يقول: (قبل نحو ست سنوات انتشرت دعوة الإخوان المسلمين في ديار الشام، وقويت بالشباب والنواب، وحمَلة الأقلام، وتجاوبت العواطف بين الإخوان المسلمين هناك والإخوان المسلمين هنا، وكان لهم هنا وهناك صحيفتان يوميتان قويتان.

وحل موسم الانتخابات لمجلس النواب السوري فتقدم الإخوان المسلمون هناك لخوض المعركة الانتخابية، وكانت مصر تتلقى أخبار تلك المعركة من الشام ـ في الصباح المبكر، وفي الضحى، وفي المساء، وقبل النوم ـ من أسلاك البرق ومن الهاتف (التليفون) وبكل وسائل المواصلات.

وكان اهتمام الإخوان المسلمين في مصر بحركات هذه المعركة الانتخابية في الشام إن لم يزد على اهتمام الإخوان الذين في الشام فإنه لم يكن يقلُّ عنه بلا ريب.

ولاحظ القائد الشهيد أخي حسن البنا رحمه الله أن كاتب هذه السطور أقل حماسة لهذا الأمر مما كان يتوقع، فجاءني ذات مساء، وجلس إلى جانب مكتبي في قلم تحرير صحيفة الإخوان اليومية في القاهرة وقال لي: إني لاحظت أمرا عجبا، إننا منذ تعارفنا وتعاونا قبل عشرين سنة لم يحدث حادث أو تنزل نازلة إلا كانت قلوبنا متجاوبة في اتجاه واحد بلا تواطؤ ولا مذاكرة.

والآن فإن هذه الانتخابات المحتدمة معركتها في الشام يقوم بها إخوان لنا، عرفناهم من طريقك، ومن طريق صحيفة (الفتح)، أو شباب يعدون أنفسهم أبناءك أو كأبنائك، وفيهم عدد غير قليل من ذوي قرابتك، وإن أحدهم كان يساكنك هنا في منزلك، وطار لخوض المعركة في دمشق اهتماما بها، وما منا إلا من هو مهتم بها كاهتمام إخواننا هناك، إلا أنت! فإني أراك واقفا تتفرج بدم الشيوخ، وعهدنا بك أنك أكثر حماسة منا لكل ما نتحمس له.

فأجبته: إني خائف أن ينجحوا، وأن تكون أكثرية النواب منهم، فتكون النتيجة تأليف الوزارة منهم واضطلاعهم بمسؤولية الحكم!

فبدت على وجهه أمارات الدهشة رحمه الله وسألني: وهل هذا مما تخافه؟ قلت: أجل، قال: إذن فإني كنت مصيبًا بالمجيء إليك الآن، فإن اختلافنا إلى هذا الحد يحتم علينا أن نتفاهم.

فسألته: هل لو بلغ النجاح بالإخوان المسلمين في الشام إلى درجة أن تتألف منهم الوزارة، سيتولون الحكم بالموظفين الموجودين في الوزارات والمصالح والدواوين، أم سيعزلونهم ويأتون بموظفين من بلاد أخرى؟ قال: طبعًا سيبقى الموظفون كما هم، إلا من يكون ملوثًا بمخازٍ يؤاخذه عليها القانون.

قلت: أنا لا أزعم أن الشكوى من الموظفين هناك بلغت إلى حد الشكوى من أمثالهم هنا، ومع ذلك فإن مصر الآن قدوة للشام والعراق وجزيرة العرب، وكل ما أشكوه أنا وأنت من العيوب هنا قد سرت عدواه إلى هناك بمقياس واسع أو ضيق، ومهما استعان وزراء الإخوان المسلمين برؤساء تغلب عليهم النزاهة فإن العيوب أفدح من أن تصلح إلا بقوة خارقة تتاح من عالم الغيب، وهذا ما لا نرى الآن دلائله، ونتيجة

ذلك أنه سيوصم به الإسلام نفسه، هذه واحدة.

ثم سألته: هل وزارة الإخوان المسلمين ستتولى الحكم بهذه الأنظمة، أم أعددتم أنظمة إسلامية تحل محلها؟ قال: لم تتح لنا الفرصة بعد لإعداد أنظمة إسلامية، ولم يتخصص أحد منا حتى الآن لهذه الدراسة، ولو فعلنا فإن الجو لا يلائم هذا التغيير، ولا نجد الآن من يعين عليه.

قلت: إذا كان الإخوان المسلمون في الشام ستتولى وزارتهم الحكم بالأنظمة الموجودة وبالموظفين الموجودين، فما فائدة الإسلام من هذا؟ أنا أرى أن تحمُّل غير الإخوان المسلمين مسؤولية هذا العبء أكثر فائدة للإسلام من تحمل الإخوان هذه المسؤولية، وهذه ثانية.

ثم قال محب الدين الخطيب شارحًا فكرته: إن المسلمين مضى عليهم سنوات يقتصرون في إسلامهم على المسجد ومظاهر رمضان ومناسك الحج، ألا يستطيعون أن يصبروا عشرين سنة أخرى يربون فيها جيلا يعيش للإسلام وأنظمته، لا لنفسه ووجاهته، ويعدون فيها لذلك الجيل أنظمة الإسلام وآدابه وقواعده وأحكام فقهه الاجتماعي والإداري والمالي والدولي، فضلا عن تنظيم فقه الالتزامات والعقود، وفقه القصاص والتعزيرات والحدود.

وأعظم من كل ذلك أن نتعرف إلى سنن الإسلام في أهدافه الملية وتوجيهاته المتعلقة بكيانه ومقاصده ومراميه.

إن هاتين الأمانتين: أمانة إعداد الجيل الآتي، وإعداد النظام له، إذا استطعنا القيام

بهما في عشرين سنة كان هذا أعظم عمل قام به المسلمون منذ ألف سنة إلى الآن)(١).

فانظر كيف يبدو حسن البنا هنا مندهشًا، حائرًا، مضطربًا، فاقدا للرؤية، قد التبست الأمور أمام عينيه، وهو الذي كان يفترض فيه أن يكون صاحب منهج متقن، ورؤية مدروسة محكمة، لا تزداد مع ارتطامها بالأحداث إلا صقلًا، ويثبت مرور الدهر أنها كانت في أصلها محكمة، أما صاحبنا فقد خرج بمنهج غير مدروس، وكلما مضت الأيام وطرأت عليه الأحداث تبين أنه مندهش، متفاجئ، مصدوم، لم يُعدَّ لكل أمر عدته، ولم يُحْكم النظر في جوانب منهجه بحيث يعد لكل حادثٍ طارئٍ جوابًا.

وأنت تراه هنا قد ذهب يطالب محب الدين الخطيب بطلب ينص هو فيه على قوله: (إني لاحظت أمرا عجبًا)، ثم يفسره بقوله: (وإن أحدهم كان يساكنك هنا في منزلك، وطار لخوض المعركة في دمشق اهتمامًا بها، وما منا إلا من هو مهتم بها كاهتمام إخواننا هناك، إلا أنت! فإني أراك واقفا تتفرج بدم الشيوخ، وعهدنا بك أنك أكثر حماسة منا لكل ما نتحمس له).

فرجع حسن البنا هنا إلى ذلك الحماس الأهوج، يقيس به تفاعل الناس مع دينهم، فلما أن قرع محب الدين الخطيب ذلك الحماس الجارف بمنطق فيه شيء من التأني ومحاولة التبصر بالعواقب، والغوص على فهم الواقع، إذا بحسن البنا لا رؤية عنده، ولا زاد عنده من المعرفة والحكمة، ثم الأخطر من ذلك أن يصرح تصريحًا بقوله: (لم تتح لنا الفرصة بعد لإعداد أنظمة إسلامية، ولم يتخصص أحد منا حتى الآن لهذه الدراسة، ولو

(١) مجلة المسلمون/العدد١ السنة٢/ص٤٤-٤٧/، الصادر بتاريخ ربيع الأول سنة ١٣٧٢هـ-نوفمبر سنة ١٩٥٢م.

فعلنا فإن الجو لا يلائم هذا التغيير، ولا نجد الآن من يعين عليه).

قلت: فإلى أي شيء إذن كان يدعو الناس، وهو قد اعترف هنا اعترافًا صريحًا بعدم وجود رؤيةٍ مسبقة، ولا دراسة محكمة لما أقدم عليه، وأن المسار الذي سلكه وخاض فيه ليس له فيه سندٌ قويٌّ من المعرفة المتقنة، بل هو الحماس الجارف الأهوج ولا غير.

وأقول: يا حسرةً على العباد، ألم يكن هذا هو الذي يدعوك إليه الشيخ يوسف الدجوي، فكابرتَ وعاندت، ولم تصبر على أن تجلس للدراسة واكتساب الحكمة، والتبصر بالعواقب.

ولقد شاع هذا النَّفَس في عامة المنسوبين للإخوان من تلامذة حسن البنا، وانظر مثالًا على ذلك أيضا الشيخ محمد الغزالي في أول دخول له إلى كلية أصول الدين، بعد معرفته بحسن البنا بسنة، قال: (وجمعنا عميد الكلية في مسجد الخازندارة في حفلٍ عامٍّ للتعارف واستقبال العام الجديد، وتوثيق العرى بين الطلاب وهيئة التدريس، وحدث في هذا الحفل أمر ذو بال، فقد كان من بين من تحدثوا الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الفلسفة والأخلاق بالكلية، وجرى على لسانه ثناء حار على المجتمع الفرنسي، وتنويه بما يسوده من أمانة ونظام، وأهاب بنا أن نتمسك بهذه الخلال!

وغاظني ما سمعت، فانتفضت قائما أصيح: أيُّ خلالٍ يا أستاذ؟ هؤلاء تقدموا في اللصوصية، اللص عندنا يسرق آنية من بيت، أو حافظة من جيب، أو ثمرة من حقل، وهؤلاء يسرقون الشعوب تحت الشمس، ويختلسون العقائد من العقول، أي خلال تعني يا أستاذ نلتمسها من هؤلاء المعتدين على إخواننا في أقطار المغرب- وكانت محتلة-؟ ولماذا لم تذكرنا بسلفنا العظيم؟

وانطلقتُ بطريقة همجية اضطرب بها نظام الحفل، ثم أمسك بي بعض المشرفين وقادوني إلى عميد الكلية الشيخ عبد المجيد اللبان، فرأى شابًّا في العشرين أفقده الحماس وعيه، فقال لي بصوت وديع: اقعد يا ولد! فجلست أمامه، وكلف شيخًا آخر بالتحدث إلى الطلاب الذين بدا أنهم متعاطفون معي، بل بدا أن أكثر المدرسين لم يستريحوا إلى توجيه الدكتور محمد يوسف، وأنهم يؤيدون موقفي.

لم يعاقبني عميد الكلية مكتفيًا بإسداء بعض النصائح، وصرفني بعد انتهاء الحفل.

والغريب أن علاقتي بالأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى توطدت، وكنت فيما بعد أثيرا عنده، وطيلة مدة الدراسة بالكلية لم أستغن عن توجيهه وإرشاده، وبعد التخرج نمت بيننا صداقة عميقة وتعاون في خدمة الدعوة الإسلامية)[1].

فها هو الغزالي لصدقه مع نفسه يعترف بالهمجية والحماس والاندفاع، وأنا أرى أن هذا هو الأثر الذي بدأ يتسرب إلى طبعه من مخالطة حسن البنا، وأنت ترى كيف أن علماء الأزهر عاملوه بغاية اللطف، ليردوه إلى حال السكينة الذي لابد منه لطلب العلم، والذي هو الأساس النفسي الأول والشرط المتقدم الذي لا يمكن للعقول أن تصل للعلم بدونه.

* السمة السادسة: اللا إنسانية:

وهي نتيجة منطقية لما سبق؛ فإن الإنسان إذا انجرف في أمر من الأمور بالحماس الطائش المشتعل، واندفع في إجراءاتٍ وحلولٍ لم يتبصَّرْ عواقبها، وهو مفتقدٌ لأدوات

---

(١) مجلة إسلامية المعرفة/ص١٦٤/، العدد السابع للسنة الثانية، الصادر بتاريخ رمضان، سنة ١٤١٧هـ، الموافق يناير، سنة ١٩٩٧م.

فهم النص، فإذا به يتأوله كما يشاء له هواه، ثم هو مفتقدٌ لمقاصد الشريعة، فتميل به الأهواء في كل مسلك، ثم يلتبس عليه الواقع فيزداد إغراقًا في التخبط والاصطدام به، فإن من شأن ذلك كله أن يجعل صاحبه مندفعًا بين الناس بأحكامه الجائرة عليهم، وهو يرميهم بالضعف والتخاذل والتهاون كما رأينا في خطاب البنا للشيخ الدجوي، فإذا تألم الناس من ظلمه لهم ازداد عنادا وقسوة، لأنهم في فهمه ينفرون من الدين كما يتوهمه، ومن هنا تولد مقولة التكفير والتبديع، ويطل فكر الخوارج برأسه، فتنشأ اللا إنسانية في أشد صورها ظلما.

وأنت ترى ذلك عيانًا في قول القرضاوي: (ولقد قابلنا –نحن الشباب والطلاب– اغتيال النقراشي بارتياحٍ واستبشار، فقد شفى غليلنا، ورد اعتبارنا، ومما أذكره أني نظمت بيتين في هذه المناسبة، يعبران عن ثورة الشباب في هذه السن، خطابًا لعبد المجيد حسن قاتل النقراشي، كان الطلاب يرددونهما، وهما:

عبد المجيد تحية وسلامُ * أبشر فإنك للشباب إمامُ

سمَّمْتَ كلبا جاء كلبٌ بعده * ولكل كلب عندنا سمَّامُ)[١].

ولقد كان للعلامة المحدث الشيخ أحمد شاكر مقال منزعج متلهف حزين، حول حادث قتل النقراشي، يقول في أوله: (روّع العالم الإسلامي والعالم العربي –بل كثير من الأقطار غيرهما– باغتيال الرجل، الرجل بمعنى الكلمة: النقراشي الشهيد غفر الله له)[٢].

---

(١) ابن القرية والكتاب ملامح سيرة ومسيرة/١/٣٣٧/، ط٢: دار الشروق، القاهرة، سنة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٢) جمهرة مقالات العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر/١/٤٧٢-٤٧٥/، ط: دار الرياض، الجيزة، مصر، سنة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، والمقال منشور في جريدة الأساس، العدد الصادر بتاريخ ٢ يناير سنة ١٩٤٩م.

ثم يقول: (وقد رأيت واجبًا علي أن أبين هذا الأمر من الوجهة الإسلامية الصحيحة، حتى لا يكون هناك عذر لمعتذر، ولعل الله يهدي بعض هؤلاء الخوارج المجرمين، فيرجعوا إلى دينهم قبل ألا يكون سبيل إلى الرجوع، وما ندري من ذا بعد النقراشي في قائمة هؤلاء الناس).

إلى أن يقول في ختام المقال: (وإنما الإثم والخزي على هؤلاء الخوارج القتلة، مستحلي الدماء، وعلى من يدافع عنهم، ويريد أن تتردى بلادنا في الهوة التي تردت فيها أوربا بإباحة القتل السياسي، أو تخفيف عقوبته، فإنهم لا يعلمون ما يفعلون، ولا أريد أن أتهمهم بأنهم يعرفون ويريدون).

وفي المقابل فإن منهجية الأزهر قائمةٌ على السكينة والحكمة، والتبحر في أدوات الفهم، فيفهم النص الشريف على أحسن محامله، وتنفتح له خزائن معانيه وأنواره، وتلوح له مقاصد الشرع في كل باب يطرقه، ويبحر في التعامل مع الواقع بتوفيق، دون أن يصطدم به، فينتج من كل ذلك خطاب إنساني، عامر بمحاسن الشريعة، متجمل بآدابها، يرى الناس فيه الرحمة والراحة.

* السمة السابعة: اللامعقولية:

وهي أيضا نتيجة لما سبق؛ إذ يمعن هؤلاء في التأول المنحرف للنص، المجافي لمقاصد الشرع، حتى يؤول الأمر بهم إلى فهوم وأقوال وحلول موغلة في الغلط، صادمة للأسماع والعقول، فترى أحدهم يتأول قوله تعالى: (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم)[١]، فيخرج بفهم ظالم مختل يقول فيه: (إن الله أمرني أن أشتم).

---

(١) سورة النساء، الآية ١٤٨.

وفي المقابل كلما تكونت العقول بمنهج الأزهر، واتسمت بالسكينة، والحكمة، وتضلعت من العلوم فاهتدت إلى مفاتيح الفهم الصحيح للقرآن والحديث، واهتدت إلى مقصد الشرع في المسائل الكلية والجزئية، وانفكت طلاسم الواقع أمام العقل، فإنها تخرج بخطاب إنساني رحيم، ويكون أيضا معقولا، منطقيا، حكيما.

* السمة الثامنة: القبح:

فإن الخطاب الصادر عن عقول تلبست بكل ما سبق سيكون خطابًا صادمًا منفرًا، متعجرفًا، يبث الرعب في القلوب.

وفي المقابل فإن الخطاب الصادر عن منهجية الأزهر، يكون مستجمعًا للسكينة والحكمة، والفهم الصحيح، ووضوح المقاصد وإشراقها، والاقتدار على فهم الواقع وفك طلاسمه، فتلوح معالم الإنسانية واللطف والشمائل والأخلاق المحمدية، ويخرج الخطاب سائغًا مقبولًا معقولًا، فيشرق أمام الناس في المنتهى مشهد نبيلٌ ورفيعٌ من الحسن والجمال، وإن الله جميل يحب الجمال.

والسمات المذكورة قد استفحلت وازدادت حدة وضراوة في الأجيال التالية من هذه التيارات، مع انهيار مستمر في ضعف التكوين العلمي، فصار التكفير منهجًا، وصار القتل وحمل السلاح سمة، ثم انقسمت تلك التيارات وكثرت راياتها وأسماؤها، مع فروق بينية يسيرة، لكنها جميعًا تنطلق من السمات المذكورة.

وقد كان من أثر ذلك كله أن الأزهر الشريف عبر تاريخه كان له موقف حاسم، وميزان نقدي دقيق ينص على انحراف هذا النمط من الفكر، حتى أصدر الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي سنة ١٩٤٥م بيانا يطالب فيه بحل جماعة الإخوان، وصرح العلامة المحدث الشيخ أحمد شاكر بأنهم خوارج، وكذلك صرح الشيخ محمد

الغزالي، وفي السياق نفسه جاءت تصريحات العلامة الشيخ عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى، والشيخ الشعراوي، والشيخ محمد محمد المدني، وغيرهم كثير من علماء الأزهر، وقد جمع الباحث الأستاذ حسين القاضي كتابًا مهمًّا في هذه القضية عنوانه: (موقف الأزهر الشريف وعلمائه الأجلاء من جماعة الإخوان)[١].

****

(ذكر نموذجٍ مشابهٍ لحسن البنا، سنة ١٠٦٤هـ الموافق ١٦٥٤م، وقد انتهى أمره أيضا إلى الإقرار بخطأ مساره والندم على الدخول فيه):

والنموذج الذي أتناوله هنا هو الشيخ أبو عبد الله محمد إسماعيل المسناوي المغربي، المتوفى سنة ١٠٦٤هـ، فقد كان له شأن غريب ينطبق تماما في مختلف أطواره على حسن البنا، كما سأشرحه بالتفصيل.

وقد لقيه وباحثه وتتبع أخباره العلامةُ الرحالة أبو سالم العياشي، وسجل لنا أخبار هذا الرجل، وتناقله عن العياشي عدد من المؤرخين.

قال أبو سالم العياشي: (وكان هذا الرجل أعجوبة في سائر أحواله؛ فإنه ممن حصَّل جانبًا عظيمًا من العلوم الشرعية، ولم يخل من جانب الأذواق الوهبية، وجال البلاد شرقًا وغربًا، فلم يدع المغرب الأقصى، ولا إفريقية، ولا بلاد السودان، وأقام بمصر مدة، نحوًا

(١) موقف الأزهر الشريف وعلمائه الأجلاء من جماعة الإخوان: دراسة تاريخية وثائقية، ط: دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.

من سبع سنين في حياة الشيخ اللقاني، وأخبرني أنه ختم المختصر بالأزهر سبع مرات، ولقي مشايخ ذلك الوقت، وجاور بمكة والمدينة مدة، ودخل اليمن، وادعى فيه المهدية أو ما يشاكلها فلم يتم له ذلك، ودخل العراق وأقام مدة ببغداد، وانتسب للشيخ عبد القادر، وأخذ العهد على طريقه، ودخل في جملة أتباعه، ثم ذهب من هناك إلى القسطنطينية.

وهو في كل ذلك يصرح لما في نفسه من الإمارة ولا يكني، غير متهيب صولة سلطان ولا غيره، ثم جاء من الروم إلى طرابلس في سنة ستين، ولقيته إذ ذاك بمصراتة، عند ضريح الشيخ زروق، وقال لي: إني قد أذن لي في نصرة الدين وإظهار الكلمة)(١).

ثم قال: (وتركناه هناك إلى أن بلغنا خبره أنه بلغ إلى سواحل البحر الغربي، وزار سيدي عبد السلام بن مشيش، وأقام بتلك البلاد مدة، ولم يتم له ما أراد، ثم كرَّ راجعًا من جبال غمارة إلى القليعة، وأقام بها مدة، ثم سار من هناك إلى فجيج، وأقام بها مدة، ولقيته بها أوائل سنة أربع وستين، فطلب منا المساعدة على ما يحاوله، فلم يصادف عندنا ما يحب، وأظهرنا له جلية أمرنا، وأنا لسنا ممن يتعرض لما ليس من شأنه، ولا ممن لا قدرة له على أقل ما يحاوله.

---

(١) الرحلة العياشية (ماء الموائد)/١/١٠٨-١١١/، ط: دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات، سنة ٢٠٠٦م، تحقيق: الدكتور سعيد الفاضلي، والدكتور سليمان القرشي، وانظر ترجمته أيضا في: فوائد الارتحال، ونتائج السفر، في أخبار القرن الحادي عشر/١/٢١١-٢١٥/، وصفوة من انتشر، من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر/ص٢٢١/، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، سنة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، تحقيق الدكتور عبد المجيد الخيالي، ونشر المثاني، لأهل القرن الحادي عشر والثاني/٢/٦٩-٧٣/، ط: مكتبة الطالب، الرباط، المغرب، سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، تحقيق: الدكتور محمد حجي، والدكتور أحمد التوفيق.

فلما تحقق منا ذلك أظهر التأسف والتلهف على ما مضى من عمره، وسعيه في غير طائل، وقال: إني جلت جوانب الأرض، فلم أجد من يبكي الإسلام بالعين التي أبكي بها، فوالله ما كذبت ولا كذبت، إلا أني عسى أن أكون قد غلطت في فهم ما أخبرت به؛ فإني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي: "أنت عالمٌ وغنيٌّ وسلطانٌ"؛ فأما العلم فقد حصلتُ منه ما قُسم لي، وأما الغنى فإني لا أعدم الخمس مئة دينار أو ما يقاربها متى طلبتها، وأما السلطنة فلعلها سلطنة الآخرة، وكنت أظنها في الدنيا.

وأنا الآن تائب مما أنا فيه، عالم أن الله لم يرد بي ذلك، فنيتي الرجوع إلى الحج والزيارة، ثم أستوطن جوار الشيخ عبد القادر الجيلاني أعبد الله حتى أموت، ففارقناه على هذه النية، فذهب من هناك إلى تجروران ومات بها)(١).

ثم قال العياشي: (وبالجملة فهذا الرجل أعجوبة زمانه، ونادرة وقته سخاء وذكاء ودهاء، ونجدة، وعلو همة وعبادة، لولا ما ابتلاه الله به من وسوسة الإمارة التي توسوس في دماغه، فلا تدعه يسكن في مكان، ولا يقر له معها في أرض قرار، نسأل الله العفو والعافية والمعافاة من كل ما يقطع عنه بمنه وكرمه)(٢).

وقد أورد العلامة محمد القادري ترجمته هذه بنصها ثم علق تعليقًا مطولًا في تمحيص وجه الخطأ في رؤياه الجناب النبوي، واحتمال وقوع الخطأ فيها وعدم الضبط في الكلام المسموع، حتى ختم بقوله: (وعلى مقتضاه تجري رؤيا صاحب الترجمة من قوله صلى الله عليه وسلم: "أنت عالم وغني وسلطان"، يحمل صدقه –أي صدق هذا المنام– في العلم

---

(١) الرحلة العياشية (ماء الموائد)/١/١٠٩/.

(٢) الرحلة العياشية (ماء الموائد)/١/١١١/.

والغنى، لا السلطنة؛ فإنها لم تتحقق، إما لعدم ضبط الرؤيا في المثال في النوم كما تقرر، أو المراد بالسلطنة غير السلطنة الظاهرة، المخصوصة بالإمارة، ويكون المراد بالسلطنة العلو والرفعة والخصوصية في العلم، فقد حصل له ذلك في الدنيا ولم يشعر به، وإما في الآخرة، والله أعلم بما كان)(١).

والذي تعرض لتمحيص ذلك وبيان عدم حجية الرؤيا كدليل هو العلامة الشيخ علي جمعة، فله كتاب مهم اسمه: (مدى حجية الرؤيا عند الأصوليين)، ساق في أواخره خاتمة عنوانها: (الآثار السيئة لاعتبار حجية الرؤيا كدليل شرعي)(٢)، وأختم هذا المقام بجدول يوضح انطباق حال حسن البنا على حال أبي عبد الله محمد إسماعيل المسناوي المغربي:

وجوه المقارنة	محمد إسماعيل المغربي	حسن البنا
الانتساب إلى التصوف ثم هجره	انتسب للشيخ عبد القادر الجيلاني، وأخذ العهد على طريقه، ثم عدل إلى نيل السلطان.	انتسب للشيخ الحصافي، وأخذ الطريق الشاذلي، ثم تركه إلى الانتخابات.
كثرة الرحيل	دخل المغرب الأقصى، وإفريقية، والسودان، ومصر، ومكة	لاقت دعوته نجاحًا، فأغراه على مواصلة الكفاح،

(١) نشر المثاني، لأهل القرن الحادي عشر والثاني/٢/٧٣/.

(٢) مدى حجية الرؤيا عند الأصوليين/ص١٢٩-١٣٤/، ط: دار النهار، القاهرة، سنة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

ودفعه الإيمان بالفكرة والحماسة لها إلى الفناء في سبيل نشرها، وإلى توسيع نطاق البيئة التي يعمل فيها، فلم يترك قرية، ولا بلدة، ولا كَفرًا إلا زاره.	والمدينة، واليمن والعراق، وقسطنطينية، وجال البلاد شرقًا وغربًا.	
إن لم تريدوا أن تعملوا لله فاعملوا للدنيا وللرغيف الذي تأكلون، فإنه إذا ضاع الإسلام في هذه الأمة ضاع الأزهر، وضاع العلماء، فلا تجدون ما تأكلون، ولا ما تنفقون.	إني جُلْتُ جوانب الأرض فلم أجد من يبكي الإسلام بالعين التي أبكيه بها	ادعاء التفرد ببكاء الإسلام وخدمته
قال البنا (وسنتوجه بدعوتنا إلى المسئولين من قادة البلد، وزعمائه، ووزرائه، وحكامه، وشيوخه، ونوابه، وأحزابه، وسندعوهم إلى مناهجنا، ونضع بين أيديهم برنامجنا، وسنطالبهم	وهو في كل ذلك يصرح لما في نفسه من الإمارة ولا يكني، غير متهيب صولة سلطان ولا غيره	إظهار السعي للسلطة

		بأن يسيروا بهذا البلد المسلم بل زعيم الأقطار الإسلامية في طريق الإسلام في جرأة لا تردد معها، وفي وضوح لا لبس فيه، ومن غير مواربة أو مداورة، فإن الوقت لا يتسع للمداورات، فإن أجابوا الدعوة وسلكوا السبيل إلى الغاية آزرناهم، وإن لجأوا إلى المواربة، والروغان، وتستروا بالأعذار الواهية، والحجج المردودة، فنحن حرب على كل زعيم أو رئيس حزب، أو هيئة لا تعمل على نصرة الإسلام).
انتهاء الأمر بالندم على المسار المنحرف	وأنا الآن تائب مما أنا فيه، عالم أن الله لم يُرِدْ بي ذلك.	"ليس لنا في السياسة حظ، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لعدت بالإخوان إلى أيام المأثورات".

قلت: وهكذا يكون عبر التاريخ شأن أولئك النفر، الذين يغلب عليهم الخيال، ويتوهم كل منهم أنه مستأثر بخدمة الإسلام، متفرد به دون سائر المسلمين، ثم يستهلك العمر في ذلك، ساعيا إلى الإمارة والسلطنة، ثم لا يلبث أن ينكسر وقد اعتراه الندم، ذاهلا بسبب عدم تحقيق ما كان يتوهمه، ولله الأمر من قبل ومن بعد.